

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)

محكمة عليها

السنة الثالثة، المسلسل الجديد، العدد الخامس، خريف ١٣٩٠

معروف الرصافي و نزعتة الإجتماعية إلى المرأة والفقير*

الدكتور أبو الفضل رضايي

أستاذ مساعد في جامعة شهيد بهشتي

الدكتور عبدالله شفيعي

أستاذ مساعد في الجهاد الجامعي

الملخص

معروف الرصافي شاعر العراق الكبير واحد أعلام النهضة الأدبية و من كبار شعراء المدرسة الكلاسيكية قد طرق اغلب ابواب الشعر القديمة من مدح و رثاء و غزل و وصف و خمريات؛ ولكن تميز بشعره السياسي و الإجتماعي و اشتهر بـ«شاعر الحرية» و«شاعر البؤساء» لما نظمته من أشعار ثورية ملتزمة و لما عالجه من قضايا إجتماعية و سياسية. لشعره ميزات عديدة فهو فضلاً عن متانة اللغة و رصانة الأسلوب يلازم روح العصر مقاصده و مطالبه.

بيئة الشاعر الحافلة بالأحداث و معيشتة المملوءة بالكثير من الوان الفقر و الفاقة و حرمان دعت الرصافي الى إهتمام بشؤون الناس و الوطن و الموضوعات الإجتماعية التي يعانها مواطنيه. هذه العوامل المذكورة جعلت الشاعر شاعراً ثورياً و اجتماعياً و ساعدته على أن يشعر آلام الناس و يتأثر بها. نحن عندما نقرأ ديوان شعره و نتعمق في قصائده الإجتماعية، نراه كمرآة تنعكس فيها كل الحوادث السياسية و الثورات الإجتماعية و حركات الوطنية التي وقعت في عصره. فهو شاعر انفراد بالشعر الإجتماعي في العراق. نحن في هذه المقالة عالجتنا الموضوعين الهامين من نزعة الشاعر الإجتماعية هما المرأة و الفقر و تركنا غيرهما من الموضوعات إجتنباً من إطالة الكلام و الحشو.

الكلمات الدليلية

الرصافي، النزعة الإجتماعية، الفقر، المرأة، عراق، شعر الحديث.

* - تاريخ الوصول: ١٣٨٩/٠٢/١٢ تاريخ القبول: ١٣٩٠/٠٤/٢٥

عنوان بريد الكاتب الإلكتروني: A- Rezayi@sbu.ac.ir

١ - مقدمة

الواقع أن أديب العصر الحاضر كان صورة ناطقة لعصره. فإن الحوادث السياسيّة و الثورات الاجتماعيّة و الحركات الوطنيّة والاحتكاك بالأُمم الغربيّة أدت كلها إلى توجيه الأدب العربي نحو اتجاهات جديدة أخذ يسير في تياراتها. نعم لقد ظهر في أدب العربي في تطوره خلال العصور نزعات شتى، إلّا أن ظروف الحياة التي شب فيها منذ فجر النهضة حتى اليوم جعلته يمتاز بنزعات جديدة لم يعرفها على هذه القوّة من قبل، فرأيناه شديد الصفة الواقعيّة وثيق الصلة بالحياة اليوميّة التي تحياها الأمة العربيّة منذ فجر هذا القرن. و لقد أخذ الأدب العربي الحديث، يعبر عن وعى الأُمّة العربيّة و يصبح وجها من وجوه الاتصال فإذا ما طالب الشعب بالحرية و قام مناضلا في وجه المستعمر. كان الأدب أول عدة من عدد النضال و يمكننا أن نقول إن أبرز نزعة ميزت أدبنا الحديث هو نزعة القوميّة الوطنيّة، و النزعة الثانية هي نزعته الاجتماعيّة الاصلاحية. فقد رافق استيقاظ العرب من سباتهم حركات اجتماعيّة تبغى الاصلاح و الاستقرار الاجتماعي. فكنّت ترى المنادين بضرورة إصلاح الأوضاع الاجتماعيّة بعد أن وصفوها وصفا مستهجنًا. فتعرضوا إلى أوضاع المرأة و ضرورة تعليمها و بحثوا قضية السفور و الحجاب و واجب المرأة في المجتمع، و ظهرت الدعوة إلى السعي في كسب العيش و ازدياد فكرة الزهد الكاذب و التوكل على الغير باسم التوكل على الله، و ظهر النضال بين الدين و الالحاد كما ظهر النضال بين المحافظة على الأخلاق الموروثة و بين الخلاعة. (الركابي، ٢٠٠١: ٣٠٤)

و من شعراء هذه النزعة في هذا العصر، معروف الرصافي شاعر العراق المعروف بشاعر البؤساء الذي استوعى الأنظار بشعره الثورويّ الاجتماعيّ و ترك في قلب مواطنيه المنكوبين بالآلام أثراً من الأمل و الرجاء و أعاد للمرأة حقوقها المضيعة و حريتها المسلوبة و بقي في القلوب خالداً. و هو أشهر من أن يعرف لما كان له من تأثيرات واضحة في الحياة السياسيّة و الاجتماعيّة العراقيّة خصوصاً. و هو يعد من الطلائع الوطنيّة الأولى من شعراء هذا القرن. فقصائده و مواقفه خير دليل على ذلك، فنحن نريد أن نريكم نظرتة الاجتماعيّة في قصائده و نركّز على المسألتين الهامتين هما المرأة و الفقر.

في طريق كتابة المقالة هذه واجهنا بعض البحوث التي تطرقت الى هذا الموضوع غير مباشرة في ثوب الكتاب أو المقالة أو الأطروحة و جدناها بعد القراءة غير مشبعة الى مقصدنا فما منعنا عن مواصلة الطريق لأنها نظرت الى الموضوع نظرة عابرة غير محلّلة بل

شوقتنا أكثر من قبل إلى الورود في هذا البحث الهام. من أهمها أطروحتان، أطروحة في جامعة تربيت مدرس وأخرى في جامعة طهران عالجتا الآراء الاجتماعية والسياسية و بعض المظاهر الاجتماعية في شعر الرصافي مثل الجهل والفقر معالجة عابرة. ونحن نحاول في هذه المقالة أن نرسم تصويراً موجزاً من المعروف الرصافي وحياته و أفكاره، آثاره و أهم وجوه النزعة الاجتماعية في أشعاره. و أشرنا إلى المفاهيم الاجتماعية في أشعاره و عالجتا بعضها معالجة شاملة من شتى المرائي على قدر بضاعتنا و ذكرنا لها شواهد شعرية من ديوانه. و في النهاية نرجو من الله توفيقاً يقودنا إلى مواصلة العمل في المستقبل القريب.

٢- تصور عام

ولد معروف عبدالغنى محمود الرصافي ببغداد في محلة القرقول من جانب الرصافة في سنة ١٨٧٥ من الميلاد. فوالد الرصافي كردى الأصل وامه عربية النجار و أصل أبيه ينتمى إلى عشيرة الجبارة التي تدعى أنها من السادة العلوية. تعلم دروسه الابتدائية في المدرسة الرشدية العسكرية و لم ينل شهادتها. و زار من خلالها الكتاب الكثيرة و تلقى دروسها جميعاً فمنها: مدرسة أهلية تسمى مدرسة «منيف الأندى» و تعلم فيها الخط و أتم قراءة القرآن الكريم و لم يناهز عمره عشر سنوات. و دخل أيضاً في المدرسة العسكرية لأن أمه كانت تحب أن يكون ابنها ضابطاً في الجيش و هكذا تلقى علومه اللغوية و الأدبية على يد واحد من أشهر أساتذة بغداد في الدراسات الدينية و اللغوية، هو الشيخ محمود شكرى الألوسى. بقى الرصافي يدرس على يد الألوسى، قرابة اثنتى عشرة سنة و عندما قامت السلطات العثمانية بنفى الألوسى عن بغداد، كان الرصافي قد بلغ درجة عالية من المعرفة باللغة و الشعر القديم. و قد ذهب الرصافي، كالزهاوى إلى تركيا في العقد الأول من القرن العشرين حيث اجتمع بالأحرار من الأتراك و اتصل بأفكار الثورة الفرنسية التي كانت قد ترجمت إلى التركية. و قد انتشرت هذه الأفكار سريعاً بين جيل الشبان من الثوريين الذين استطاعوا بعد ذلك إسقاط عبدالحميد الثانى و من بعده تقويض الخلافة العثمانية جميعاً و كانت استجابة الرصافي إلى هذه الأفكار عميقة و صادقة. (الزركلى، ١٩٨٦: ٢٤٨؛ غربال، ١٩٨٦: ٨٧٠)

يرتبط اسم الرصافي بالأحداث السياسية في تاريخ العراق في العقود الأولى من القرن العشرين كما يرتبط بالتصور الاجتماعى في العراق، و نجد في شعره خطاً مستمراً من التطور في الأفكار و العلاقات السياسية أكثر مما نجد لدى الزهاوى. رغم أنه كان يتردد أحياناً في مواقفه كانت مسيرته ترتبط بالحياة العامة و رغبته في تسنم المناصب الرسمية جعلته يراوح بين قبول السلطة و رفضها: عثمانية أو بريطانية أو وطنية؛ لكن الرفض و

التمردّ كانا إجمالاً من أبرز المواقف في حياته و شعره. كانت طبيعة الرصافي أبيضّة مندفعّة فلم يستطع التسوية عموماً في المواقف التي لاتليق و لذلك عرف في حياته شيئاً من الفقر و النفي و البطالة. و كانت تقلباته السياسيّة بين الحين و الحين تحدث غالباً بسبب طموحه إلى المناصب، و هو أمر مألوف تقليدي لدى الشاعر العربي. كما تحدث كذلك نتيجة لمزاجه التأتري المندفع و سذاجته السياسيّة و هي من المواصفات المألوفة في العقود الأولى من القرن العشرين. (الجيوسي، ١٩٩٦: ٢٥٠)

كان الرصافي طليعة شعراء جيله في كسر طوق الأساليب التقليديّة و الرجعيّة في التفكير و التعبير السياسي فخرج بالشعر إلى الحياة من حوله بخيرها و شرها. و كان ذلك نصراً كبيراً للشعر الحديث (نفس المصدر: ٢٥٢). أما يدوى طبانة في كتابه «التيارات المعاصرة في النقد الأدبي»، فيعدّه من زمرة الأدباء الذين تأثروا بالمبادئ الجديدة العربيّة التي وفدت على الأمتة العربيّة من خلال المعارك العنيفة و بينها كثير من التناقض، فلهذا يجد الرصافي حيناً من رجال تركيا و من الدعاة إلى سيادتها و توطيد حكمها في بلاد العروبة و يجده حيناً آخر في مقدّمة الثوار على حكمها و من الدعاة إلى وحدة الأمتة العربيّة و يجده بعد ذلك يصلي الانجليز خلفاء الأتراك في استعمار البلاد العربيّة شواظاً من شعره (طبانة، ١٩٨٥: ٢٧). وقد تذبذب شعره بين التقليد و الذاتية وكان يسلك تارة طريق القدماء حتى ليبدو خالياً من روح العصور و تيارته و يساير تارة أخرى مآسيه و تقلبات زمانه فيبدو ذاتياً و لكن الألفاظ و الصور و العبارات اقرب الى القديم منها من الحديث.

كان عصر الرصافي - كما أشرنا بالموجز - عصر تغيير و تطور في الفكر و الاجتماع. إذ أخذت نتائج الاتصال بالغرب تظهر جليّة في شعر الشعراء و نثر كتّاب العرب. و أخذ الشعراء و الأدباء يتصلون بالجماهير و يشعرون مشاكلهم و آلامهم و يعيشون معهم آمالهم و تطلعاتهم مما أثر في لغة هؤلاء الشعراء و جعلها تقترب من لغة الجماهير و أفهامهم. و إزاء هذه التطورات و التغييرات التي فرضتها الظروف السياسيّة و الاجتماعيّة، انقسم الشعراء إلى مؤيدٍ للتغيير و التجديد و مخالفٍ له. و قد اتخذ الرصافي موقفاً وسطاً جمع فيه بين المحافظة و التجديد. فالمحافظة واضحة في العديد من قصائده، خاصّة ما نظمّه في أوائل شبابه عندما كان طالباً للعلوم العربيّة و قد درس الشعراء القدامى و شعرهم و تأثر بألفاظهم و تعابيرهم. فجاء هذا التأثير جلياً في بعض تلك القصائد. (الجيوسي، ١٩٩٦: ٢٥٣)

كان الرصافي تلميذ المدرسة الكلاسيكيّة التي كان في مقدمتها محمود سامي البارودي (١٨٣٩-١٩٠٤م) الذي كان من أعلام التجديد في الشعر العربي الحديث، حيث قرأ التراث

الشعري القديم في مختلف عصوره و تأثر بالشعراء الذين نشأوا في أبهر العصور كأبي نواس و أبي تمام و البحتري و ابن الرومي و المتنبي و المعري و غيرهم. (الخفاجي، ١٩٩٢: ١٤٣)

أما تجديد الرصافي على الصعيد اللغوي، فيتمثل في لجوئه إلى استعمال المفردات المألوفة و السهلة لدى الجماهير و المثقفين، التي تشبه لغة الصحافة و الجرائد. و من أسباب هذا التجديد تعلق الشاعر بالمجتمع و تعاطفه مع الجماهير و التزامه برسائلته في خدمة قضاياها و التبشير بأهدافه و معالجته مشاكله و صعابه التي يواجهها. فجنده حريصاً كل الحرص على إبراز فكرته و موضوعه بأسلوب تدرکه الأفهام. و يتضح هذا التجديد في الكثير من قصائده الاجتماعية و السياسية. (عبود شراد، ١٩٩٨: ٩٦)

أما من حيث صناعة الشعر و بناء القصيدة و أسلوبه، فنراه شاعراً سليقياً صناعياً و هو في صناعته أبرع منه في سليقته. و قد جمع شعره إلى جزالة البدوي، رقة الحضري و تفنن العصري. و شعره الروائي أو القصصي يفضل على سائر ضروب شعره بما فيه من دقة الوصف و رقة التعبير و براعة الأسلوب و بداعة الديباجة إلى استفزاز الشعور و تحريك العواطف حتى إذا قلنا إنه قد انفرد بين شعراء عصره في هذا النوع من الشعر فلا نكون مغالين. و يجدر به أن نقول إن الرصافي أشعر الشعراء في قصائده «السجن في بغداد»، «عالم الشعر»، «أم اليتيم»، كما نقول إن شوقي أشهر الشعراء في «صدي الحرب»، «رثاء إسماعيل» و «البوسفور كأنك تراه» و حافظ أشعرهم في «مرثية الأستاذ الامام» و قصيدة «محرر المرأة» (الرصافي، د.ت: ٣٢-٣١).

و الرصافي في مزيتي السهولة و نممة الديباجة شبيه بالبحتري فالكلمات في ابياتها مختارة متقاة. و قد رتبت بحسب ترتيب المعاني فلا تقديم و لا تأخير و لا حشو و لا تعقيد و لا استعارات بعيدة. و قد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافي فلا تدرى و أنت تسمعها ان كنت تسمع نظماً مثوراً أو تترأ موزوناً. كما قال نفسه يصف شعره:

وارسلته نظماً يروق انسجامه فيحسبه المصغي لانشاده نثراً

و مثله قوله:

فأني ما اطلعت شمس حقيقة لمستمع إلّا لتغرب في السمع

ولست أبالي بعد إفهام سامعي أكان بخفض لفظ ما قلت أم رفع

كما أشبه الرصافي البحتري في هذا فكانا شاعري ألفاظ و ناشري ديباج، أشبه أبا الطيب المتنبي فكان معه شاعر معان و حكيم حجة و برهان. فهو في كثير من مواقفه يستخرج المعاني الدقيقة و يعبر عنها بألفاظ جزلة و أسلوب فخم. و يضمن شعره الأمثال و الحكم و التلميحات إلى قضايا العلم و الفلسفة و التاريخ. و كثيراً ما سلك طريق التهويل و الغلو في الوصف حتى

ليخيل إليك أنه المتنبّي لولا كلمات أو تعابير تجدها أحيانا في شعره تتبّهك إلى أنك انما تقرأ شعراً للمعاصرين (نفس المصدر: ١٣) و هذا كقوله:

لعمرك إن الحرّ لا يستقيّد
إذا انا قصدت القصيد فليس لي نشدت
بشعرى مطلباعزّ نيله
فللنجم بعددّ دون ما أنا ناشد
و كم جنبنتي عزّة النفس منهلاً و ما أنا إلا
شاعرٌ رذولٌ لينة
ألا فليقل ما شاء فيّ المفند
به غير تبيان الحقيقة مقصد
ان هان عند الشعر ما كنت انشد
ولدرّ قدر دون ما أنا أنشد
يطيب به لكن مع الذل مورد
انوح بها حيناً و حيناً أغردّ

(نفس المصدر: ٧٤)

أما للرصافي في كتابه «الأدب الرفيع في ميزان الشعر و قوافيه» آراء قيمة و ملاحظات مهمّة في الشعر و علاقته بالفنون الأدبيّة الأخرى! يقول الرصافي: «لما كان الشعر وليد الغناء و قرينه لزم أن يكون مطابقاً لما فيه من ألحان و إيقاع و لا يكون كذلك إلّا إذا كان موازناً لتلك الألحان في الحركات و السكّنات و هذا هو الوزن في الشعر و بهذا تبين لك حكمة وجود الوزن في الشعر و فلسفته...» (البقاعي، ١٩٩٠: ٢٢٣)

أما رأيه الخاص في هذا المجال، فهو تجنّب انواع البديع ما أمكن و العناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوماً و لذا تسمعه يقول:

و لستُ بالشاعر الذي يرسل
انا لا أبتغي من اللفظ إلا
اللفظ جزافاً لكي يصيب جناسه
ما جرى في سهولة و سلاسة
واضحٌ يأمن اللبيب التباسه
انما غايتي من الشعر معنىً

(الرصافي، د.ت: ٩)

و هكذا شاعرنا (الرصافي) فانه لم يعد يعبأ من تزاين الشعر إلّا بالبيان ايضاً فمن ثم وجب ان يلقب بأمر البيان في الشعر كما لقب الأمير شكيب^١ بأمير البيان في النشر. و من الميزات التي انحصر بها الرصافي أن له تعابير خاصّه لم نسمعها لغيره فمن ذلك «وغي العيش» و الوغي جلبة الحرب فجعل للعيش و الزحام على الحياة وغي يكثر فيها الضحَب و الجلبة. و قوله «خني الطبع» و اصل الخنا الفحش في القول و خني الدهر نوائبه. (نفس المصدر: ٢٥)

أما فنون الشعر و موضوعاته لدى الرصافي ، فقد طرق الشاعر فيها اغلب ابواب الشعر

القديمة من المدح و الرثاء و الخمریات و الغزل والوصف. و تمیز بشعره السیاسی و الاجتماعی. فی الوصف كان الشاعر قد أكثر من وصف المخترعات الحديثة مثل السیارة و الطائرة و القاطرة وغيرها. كذلك كانت له قصائد فی الوصف الحسی للطبیعة.

أما فی الآثار الفکریة و الأدبیة، ترك الرصافی آثاراً قیمة فی مجالی الفكر و الأدب منها المطبوع و غیر المطبوع. و من أهم آثاره المطبوعة: (١) الرویا (رواية ترجمها نامق كمال الكاتب التركي - طبع فی بغداد سنة ١٩٠٩ م). (٢) نفع الطیب فی الخطابة و الخطیب (٣) تمانم التعلیم و التریبة (٤) دروس فی تاریخ آداب اللغة العربیة (٥) رسائل التعليقات (٦) علی باب سجن أبی العلاء (٧) عالم الذباب (٨) الأدب الرفیع فی میزان الشعر و قوافیه (٩) محاضرات فی الأدب العربی (١٠) نظرة إجمالیة فی حياة المتنبی (١١) شعر و آراء أبی العلاء المعری (١٢) (وفی النهاية) دیوانه الذی یشتمل الأجزاء المختلفة فی موضوعات شتی فمنها: الكونیات - الاجتماعیات - الفلسفیات - الوصفیات - الحرفیات - المراثی - النسائیات - التاریخیات - السیاسیات - الحربیات و المقطعات (الرصافی، د.ت: ٣٥).

٣- نزعتة الاجتماعیة

كانت حياة الرصافی الحافلة بالأحداث و معیشته المملوءة بألوان البؤس و الشقاء و بیئته التی عاش فیها و هی مثقلة بالكثیر من مظاهر الفقر و الحرمان و بالعید من المشكلات و العصر الذی عاش فیها و هو یموج بالتبیرات الخفیة و بأیدی الاستعمار و الكثیر من المؤامرات. كان ذلك كله من العوامل و المؤثرات التی نجدھا فی عصره سببا فی دقة حس الشاعر و دقة مشاعره و شدة تأثره بكل الجوانب الانسانیة فی الحياة و كان من نتیجته، یقظة الشاعر و انتباهه لكل ما هو دقیق و جلیل من المثل و الغایات الشریفة و لكل احساس انسانی یربط الشاعر بالانسانیة و بالناس. (الخفاجی، ١٩٩٢: ١٧٣)

و الشعر الاجتماعی، هو فن انفرد به حافظ فی مصر و الرصافی فی العراق. یشمل شعر المجتمع فی وصف السجون و الیتامی و التعلیم فی بغداد و دعوته للاحسان و افتتاح المدارس و تحریر المرأة و إنشاء دور الیتامی و فی تکریمه للعاملین ولرجال العرب و للساسنة الوطنیین و غیر ذلك من شتی موضوعات الشعر الجاهلی عند الرصافی و فی دیوانه باب کبیر عنوانه «الاجتماعیات». (نفس المصدر: ١٧٨)

البیئة و أحوال العصر دعت الرصافی كما دعت الزهاوی إلى الاهتمام بشؤون الوطن و الناس و الموضوعات هی: نشر العلم و القضاء علی الجهل، إخراج المرأة من ظلمتها، الاعتماد علی النفس و نبذ التواكل و التخاذل، نشرلواء العدل و إنصاف الطبقة البائسة... إنها موضوعات لاکنها الألسنة و ترددت اصوات دُعائها فی كل مكان و قدعاجها شاعرنا بكل

ما أوتى من قوّة حتى عرف بـ «شاعر البؤساء». كان همّه الأول أن يوقظ الناس من غفلتهم فيتطلّعوا إلى الوجود تطلع احياء و يخرجوا من الجمود إلى الحركة و من الخمول و التشنج إلى العمل الذى ينفع و يرفع. (الفاخورى، ١٩٨٦: ٤٨٨)

فإذا شاعرنا لا يعيش لنفسه و إنّما يعيش لمواطنيه و قد يمتدّ بصره إلى مثل أعلى فيعيش للانسانية كلّها و هو فى ذلك جميعه ينفصل من عالم الذاتيّة و الفردية و يلحق بمحيط أوسع يتصل فيه بالناس ممن حوله و ممن هم بعيدون عنه و حرى بالشاعر أن يفكر اول ما يفكر فيمن يعيش معهم و فى آلامهم و كوارثهم و أن يهب لهم شعره و أن يجعله منفذا للتعبير عن حقوقهم الانسانية. و الرصافي من هذه الناحية، يكتظ قلبه بمشاعر انسانيّة رقيقة نراها ماثلة فى كل جانب من ديوانه إذ يدعو دعوة واسعة إلى التعاطف الانسانى و البر بالفقراء و المعوزين و ايضاً إنه يدعو دعوة واسعة إلى التخلّى عن كلّ مايشين اخلاق قومه و عقولهم و لعله من أجل ذلك كان يشيد دائماً بالعلم و إنشاء المعاهد و المدارس كما كان يدعو إلى إعطاء المرأة حقوقها. فهو يريد أن يزيل كل الحواجز التى تعوق شعبه عن النهوض و الوقوف على قدميه بين شعوب العالم. (ضيف، د.ت: ٦٢)

و قد وقف الرصافي فى الصراع الاجتماعىّ بجانب الشعب جانب أكثره الساقطة، جانب التقدم و العدالة الاجتماعيّة، جانب الحرّية و المساواة، جانب القوميّة و كان الرصافي شاعراً ثائراً مجدداً، مهّد لثورة شعريّة، رائعة لاتزال بعض آثارها قائمة و جعل الشعر للشعب و تحول من اللفظ إلى المعنى و إنه كان شاعراً مصلحاً ثائراً على تقاليد المجتمع، فشعره مزاج من فيض الشعور و من ثقافة عامة عميقة. (الخفاجى، ١٩٩٢: ١٦٨)

و إذا تكلم عن مساوينا الاجتماعيّة نحا فى القول منحى المصلحين المتفطنين لموضع الداء الدفين و هكذا إذا تكلم فى نقد السياسة و الأخلاق و الآداب و العادات و التقاليد. و ربّما لم يقم إلى اليوم فى بلادنا شاعر مثله أبدع القول فى وصف حياتنا الحاضرة و مطالبها العليا إبداعه حتى صدق عليه مقاله هو عن شعره:

و أجودُ الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لالخالى من العصر

على أنّه إذا شاركه فى هذه الأغراض الشعريّة الاجتماعيّة مشارك فإنه فى وصف البؤس و البؤساء منقطع القرنين و فى إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحدٌ من الشعراء المعروفين. (الرصافي، د.ت: الباء)

كما تميّز شعره بالتعامل المباشر مع الظواهر الآنيّة لحياة عصره. و لعل ذلك ساعده على

أن يتحسس آلام الناس و ينفعل بها و يواسيهم بتعبيراته عنها أكثر من الشعراء الذين عاصروهم. ولهذا كان أشد مقتاً و أعنف نقداً للسلطان العثماني قبل انتصار الدستوريين و أصدق تصويراً للأحوال العامة بعد الدستور.

٤- أهم الموضوعات الإجتماعية في شعره

٤-١- المرأة: أنشد الرصافي حول المرأة و دورها في المجتمع أشعاراً كثيرة في شتى المجالات و المناسبات، حيث جعله في مقدمة المفكرين و المدركين لأهمية دور المرأة كأم و ركن هام في النظام الاجتماعي الذين رفعوا صوتهم إلى أقصى نقاط العالم و استغاثوا بين المرأة و الرجل من ناحية الحقوق التي يتمتع بها الرجال كالتعليم و التربية في الدرجة الاولى و رفعوا شأنها كشأن الرجل لأنهم عدّوها مربية أولى قبل مرحلة المدرسة و المعلم و البيئة الاجتماعية. من قصائده الهامة في هذا المجال قصيدة «التربية و الأمهات» و قصيدة «المرأة في الشرق» و في هاتين القصيدتين، يشير الرصافي إلى أسباب تأخر المجتمع و جموده و تأثير المرأة العربية و العراقية فيه و دور الحكام و الأمراء في هذا التخلف و التأخر.

لرصافي أشعار كثيرة في المرأة شأن أكثر الشعراء ولكنه يمتاز عن اولئك الشعراء بأنه لاحظ بعينه الفاحصة و ذهنه الذكي و انسانيته الرحبة و غيرته على ابناء وطنه و قومه، لاحظ الحالة الاجتماعية المنحطة للمرأة العراقية و العربية و جهلها و حجابها و نظرة الرجال إليها فشنها حرباً شعواء لاهوادة فيها و لاهدنة على المتسلطين و على الجامدين و على رجال التربية و التعليم مطالباً بانصافها و انقاذها و مساواتها التامة مع الرجل لتتم سعادة المجتمع. واهم ما نظمته من القصائد الخاصة بمفهومه الجديد عن المرأة قصيدته «التربية و الأمهات» التي قد أجاد احد تلامذة الرصافي في القدس الأستاذ «حمدي الحسني» عندما كتب عنها بانها «تعتبر من اقواى انواع الشعر الاجتماعي و اعمقه تأثيراً في نفس الأمة و لاتزال تشع بنورها القوي في نفوس الفتيات العربيات فيستضئ بنورها و يعتدين يهدبها و لاتظن فتاة عربية واحدة دخلت المدرسة و لم تحفظ هذه القصيدة». (العبطة، ١٩٩٢: ٥١-٥٠)

و خصّص الرصافي قرابة خمس و ثلاثين صفحة من ديوانه، للمرأة و منزلتها في المجتمع و حقوقها فيه على عنوان «النسائيات» و هذه الأشعار غير القصائد التي أنشدتها في المجالات المختلفة حول المرأة. و تشتمل نسائياته على ثمانى قصائد قصيرة أم طويلة ك «المرأة في الشرق» «نساؤنا»، «حرية الزواج عندنا»، «المرأة المسلمة»، «التربية و الأمهات» «مشهد الحسد في الحزن»، «إلى الحجابيين» و «هوان المرأة عندنا». أما قصيدته «التربية و الأمهات» التي من أفضل قصائده تعلمنا علم الأخلاق و آداب المعاملة

مع الآخرين و المفاهيم الأخلاقية الرفيعة. فمن أبيات هذه القصيدة:

إِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ الْمَكْرَمَاتِ	هِيَ الْأَخْلَاقُ تَنْبَتُ كَالنَّبَاتِ
عَلَى سَاقِ الْفَضِيلَةِ مَثْمَرَاتِ	تَقُومُ إِذَا تَعَاهَدَهَا الْمَرْبِيُّ
كَمَا اتَّسَقَتْ أَنْيَابُ الْقَنَاةِ	وَ تَسْمُو لِلْمَكَارِمِ بِاتِّسَاقِ
بِأَزْهَارِهَا مَتَضَوِّعَاتِ	وَ تَعْتَشُ مِنْ صَمِيمِ الْمَجْدِ رَوْحاً
يَهْدِيهَا كَحُضْنِ الْأُمّهَاتِ	وَ لَمْ أَرَلِّ لَخَلْتِي مَنْ مَحَلَّ
بِتَرْبِيَةِ الْبَنِينِ وَ السَّبَنَاتِ	فَحُضْنِ الْأُمِّ مَدْرَسَةَ تَسَامَتِ

(الرصافي، د.ت: ٣٤٩)

نجد الرصافي في هذه القصيدة اي القصيدة الثائية معلما، واعظاً، مصلحاً و مربياً يمثل فيها المفاهيم الأخلاقية و المعاني الإنسانية الرفيعة تمثيلاً رائعاً و يصورها تصويراً بديعاً في بعضها حيث لم يسلك فيه احدٌ قبله. يشبه الأخلاق و نموها و العناية بحفظها بنشأة النبات و نموها و سقيها. و في رؤية اخرى نرى أنه شبه الحُضن (حُضن الأم) بالمدرسة التي يُنهض منها البنون و البنات و يربون بها و أخلاقهم جميعاً تتبع و تخرج من اخلاق أمهم. و في أبياتها الأخرى غير المذكورة يتصور تصوير «الأمومة» لفتاة عذراء يتضمن على صدرها طفلاً و يحتوى صدرها على حب و حنان الطفل الذي تتعكس فيه صورة المرأة و في زاوية اخرى، يتصور المرأة الجاهلية و حنانها التي تبخل على أطفالها في تعليمهم و إرسالهم إلى مكاتب العلم و الثقافة و يثبت أن النتيجة معكوس لأن العطفة و الحنان في غير مكانه يجعل الأطفال في حالة الجهل و الظلام و التأخر.

و مرجع آرائه في هذا الباب إلى أن المرأة العربية جاهلة و لا بد من تثقيفها لأنها مربية الناشئة و هي محتقرة و مظلومة و لا بد من تحريرها لأنها انسان كامل الإنسانية و هي سجينه الدار و الحجاب و لا بد من إطلاقها لأنها كالرجل خلقت لتعمل و هي معرضة للطلاق بغير سبب معقول و هنا شيء غير مقبول و الرصافي يقارن ما بين المرأة المسلمة اليوم و المرأة العربية القديمة (الفاخوري، ١٩٨٦: ٤٩٢).

أوانس كاتبات شاعرات	ألم نر في الحسان الغيد قبلا
يرحن إلى الحروب مع الغزاة	و قد كانت نساء القوم قدما
و يضمذن الجروح الداميات	لكن لهم على الأعداء عوناً
جميع نساتنا قبل الممات	لئن و أدوا البنات فقد قبرنا
فَعِشْنَ بِجَهْلِهِنَّ مَهْتَكَاتِ	حجبنا هن عن طلب المعاني

و ما ضرّ العفيفة كشفُ وجهه
فدى لخلائق الأعراب نفسى
بدا بين الأعفَاء الأباة
و إن وصفوا لدينا بالجُفَاءَ
(الرصافى، د.ت: ٣٥١)

و دعا إلى تحرير المرأة و مشاركتها الرجل فى الحياة العامة و ضمانة حقوقها فى اختيار الزوج و نبذ العرف الذى كان يتبع فى العراق عذر خطوبة الفتاة إذا حرمت من حق الأختيار و كانت تساق إلى بيت زوجها مرغما على نفسها و ذلك بسبب المال الذى دفع إلى أهلها. و يصف المرأة فى الشرق بأنها مقيدة بالأغلال و تعيش فى ذل و شقاء لأن العادات و التقاليد هى التى حكمت المرأة و أجبرتها بالخضوع لهذه المظاهر التعسفية. و يعتقد الشرقيون بأن المرأة لاتصلح لمزاولة الأعمال و اشتراكها فى المناصب الحكومية و النشاطات الإجتماعية و الوطنية فما هى إلا متعة من متاعهم (حاج ابراهيمى، ١٣٧٦: ٩٨).
يصف الرصافى مأساة المرأة فى الشرق بقوله و يشبهها بالأمته على منوال تفكر الشرق و يعبرهم جميعا و يقول:

فما هن إلا متعة من متاعهم
أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا
و لو أنهم أبقوا لهن كرامة
ألم ترهم أمسوا عبيدا لأنهم
و هان عليهم حين هانت نساؤهم
أقول لأهل الشرق قول مؤلب
ألا يا شباب القوم إنى إلى العلى
و إن صنّ عن بيع لهم و شراء
بما فعلوا من الأم اللؤماء
لكانوا بما أبقوا من الكرماء
على الذل شبّوا فى حجور اماء
تحمل جور الساسة الغرباء
و إن كان قولى مُسخط السفحاء
لداع فهل من ستجيب دعائى

(الرصافى، د.ت: ٣٤٣)

و للرّصافى قصيدة أخرى أيضا باسم «المطلّقة» و هى ليست سوى مقال فى الإصلاح الإسلامى. فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد و عاب الجمود فى الفقه.

يعالج فيها مشكلة مهمة قوّضت و لاتزال تقوّض البيوت الآمنة و لكن بأسلوب الشاعر الفنان حتى عدها الدكتور بدوى طبانة من القصائد التى تمثل الوحدة الموضوعية عنده. يعالج الرصافى مشكلة الطلاق بعرضه لصورة زوجين منسجين فى حياتهما و يتدخل بينهما اهل السوء فيطلق الزوج زوجته و يؤيد القاضى الطلاق و يجرى الشاعر على لسانهما حواراً مؤثراً حين فراقهما و هو يرى أن الطلاق بهذه الصورة ليست من الشرع الإسلامى فى شىء بل يدل على غلو و تعسير فى تفهم الأحكام الشرعية: (العبطة، ١٩٩٢: ٦٦).

الأقل فى لاطلاق لموقعيه
بما فى الشرع ليس له و جوب

غلوتم في ديانتكم غلوا
 أراد الله يسييرا و اتم
 وقد حلت بامتكم كرب
 و هي حبل الزواج ورق حتى
 يضيق ببعضه الشرع الرحيب
 من التعسير عندكم ضروب
 لكم فيهن لا لهم الذنوب
 يكاد إذا نفخت له يذوب

(الرصافي، د.ت: ٥٧)

الرصافي لا ينسى الجوانب المضيئة من مجتمعه فهو مع اهتمامه بقضايا التربية و الأمهات و رأيه في موضوع و خطورة الطلاق، لا ينسى مواقف الشجاعة التي يقفها المرأة في المواقف الداعية.

و لعلّ الرصافي أول شاعر عربي يخص المرأة بالوافر من الشعر العالي مما كان له أثره في الحياة الإجتماعية و في بث الوعي و كشف الحجب بصراحة متناهية و إصرار عجيب و من حقه أن يتوجّج في العشرينات على أنه شاعر المرأة و ناصرها و حامل لواء تحررها (العبطة، ١٩٩٢: ٥٧).

٤-٢- البؤس و الفقر

كثيرا ما عرض الرصافي للبؤس و البؤساء و الفقر و الفقراء و اليتيم و الأيتام حتى لقب بـ «شاعر البؤساء» قال في حديث له: «كانت مشاهد البؤس من أشدّ الدواعي عندي إلى نظم الشعر». و لمشاهد البؤس هذه أوصاف عنده و أقاصيص و الأوصاف مبثوثة في شتى قصائده تقع عليها هنا و هناك من ديوانه و هي أبداً واقعية الصورة قائمتها ينتشر الحزن و الألم فيها إنتشاراً شديداً و يحاول الشاعر أن يجعلها في إطار مؤثّر و يبدي عنها آراءه الاصلاحية و انتقاده للسلطة الغافلة أو الظالمة و أما الأقاصيص الحزينة فنجدها في قصائد مشهورة من مثل «اليتيم في العيد»، «الفقر و السقام» و «ام الطفل في مشهد حريق» و قد ظهر الشاعر في هذه القصائد بمظهر الانسانية إلى أن تحتضن الشقاء احتضاناً و تحاول بلسمه الجراح بعاطفة خيرة و روح كريمة حافلة بالحنان و الشفقة و قلب كبير تملأه المحبة لبنى الانسان و عين سخية تذرف الدمع على شقاء البشر و كثيرا ما نراه فيها يتوجّه إلى الله طالبا الرحمة للبائسين و يتوجّه إلى الأغنياء طالبا الشفقة و مدّ يد المعونة إلى المعوزين (الفاخوري، ١٩٩١: ٥٨٣). و يناديهم جميعاً:

يا طبيبا و أين منى الطبيب
 حال دون الطبيب فقر عصيب
 لا أصاب الفقير داء مصيب
 إن سقم الفقير شيء عجيب
 بطلب فيه حكمة الأسباب

يها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما إن رحمتهم
سهر البائسون جوعاً و نمتم بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع و شراب
كم بذلتهم أموالكم في الملاهي وركبتهم بها متون السفاه
أبخلتم منها بحق الإله أيها الموسرون بعض انتباه
أفتدرون أنكم في يتاب

(الرصافي، د.ت: ١٠٢ و ٩٥)

فقد كان يرى بؤس الناس برؤيا مشاركة و يتحسس الظلم و الفقر و الحرمان تحسسا ذاتيا؛ و بموجب ذلك كان يصف السلطات الحاكمة بالاهمال و يصور السلطان جباراً عاتياً و ظالماً مستبداً بل أنه فاسق فاجر، لاهم له سوى ارضاء نزواته و اشباع شهواته و رعاية ذاته، فيقول عنه واصفاً بشعر مخمس تقتطف منه مايلي:

أقول و ليس يعدو القول جداً لسلطان تجبرو استبدا
تعدى في الأمور و ما استعدا ألا يا ايها الملك المفدى
و من لولاه لم نك في الوجود

(نفس المصدر: ١١٩)

هو في قصيدته «اليتيم في العيد» يصور اليتيم تصويراً رائعاً و يمثله تمثيلاً بديعاً و كأنه يرى الأغنياء كلهم ينهبون حقوق الفقراء و يغتصبون كل ما جنته أيديهم و إنهم ليبنون قصورهم على كواهلهم و يقيمون مسراتهم و لذاتهم على أحزانهم و آلامهم و يرى سبب البؤس و الفقر في جناية الغنى و ثمرة طمعه و جسعه. عندما ينادى:

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأفراح تضي و ترجع
صباح به تبدي المسرة شمسها وليس لها إلا التوهم مطلع
صباح به يختال بالوشى ذوالغنى ويعوز ذاالاعدام طمر مرقع
صباح به يكسو الغنى وليده ثيابا لها ييكي اليتيم المضيع
يرينا سرورا بين حزن و انما به الحزن جد و السرور تصنع
قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رمى نكتا سودابه فهو أيقع

(نفس المصدر: ٥٨)

و كثيراً ما اقترن الفقر في ذهن الرصافي بالسقام و المرض، و هو يرى الأول مؤذنا بالثاني مؤهلاً له، معداً للنزول في اوصابه و اوجاعه. و قصيدته «الفقر و السقام» من أروع الأمثلة لهذا القران النكد المشؤم الطالع؛ و فيها حكى قصة رجل معسر يسمي بشيراً كان يعمل اجيراً و يكسب لنفسه قوتا يسيراً، شاكرًا لربه راجياً حسن المآب، و كان يعول أختا

له يطعمها من كده فاعتراه داء المفاصل حتى عاقه عن العمل و الإكتساب و أنفق كل ما ملكت يدها بل كل ماريحته أخته فاطمة من غزلها قبل أن ينزل به الداء و هنا نراه يناجيهما أن تمرضه و تحرضه على العمل و لم تلبث أخته أن سعت إلى جارتها و شكت حالتها و حال أخيها فأعانتها ببعض ما سدّابه رمقهما و ألح المرض و الفقر على بشير و مازالا به حتى فاضت روحه... (ضيف، د.ت: ٦٩-٦٨)

و كان الرصافي حساسا شديدا الحساسة، رقيق الشعور فكاد لا يترك منظرا مؤثرا لمنكود او منكوب إلا رسمه بريشته رسما حزينا يبعث الشجا و الأسى في النفس و كان يعرف كيف يصف ما انطوى عليه قلب المكروب من افكار و آلام؛ فلقد نقل عنه يقول: «كانت مشاهد البؤس من الدواعى عندي إلى نظم الشعر» (عواد، ٢٠٠٦: ٥٢) و لعل صدق قوله يتجلى فيما نظمه في قصيدة «الأرملة المرضعة» يقول:

لقيتها ليتنى ما كنت ألقاها	تمشى و قد أثقل الاملاق ممشاها
أثوابها رثة و الرجل حافية	والدمع تذرفه فى الخدّ عيناها
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها	واصفر كالورس من جوع محياها
مات الذى كان يحميها و يسعدها	فالدهر من بعد بالفقر أشقاها
الموت أفجعها و الفقر أوجعها	والهمّ انحلها و الغم أضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها	والبؤس مرآة مقرون بمرآها

(الرصافي، د.ت: ٢٠٦)

و هذه القصيدة لوحة رائعة لأرملة فقيرة، تمزقت عليها ثيابها و لم يعد لها ما يحميها من البرد بل من العرى، و لم يعد في ثديها ما ترضع به وليدها يا لبؤس الحياة! و يا لمرارتها فى فمها بل فى فم الرصافي الذى ذهب يجلو علينا هذه الصورة الكئيبة و يظهر أن نفس الرصافي كانت تنطوى على كثير من المروءة و الحنان و الشفقة فكان دائم التفكير فى هذه الطبقة الشقيّة المحرومة التى نبذها المجتمع فلم يعرها عنايته و لم يولها اهتمامه حتى النقود القليلة صنّ بها عليها و تحول الرصافي إلى ما يشبه بوقاً فهو ينفخ فى الناس لعلمهم يبصرون ما تحت اعينهم من آلام مشجية و أوجاع مضية (ضيف، د.ت: ٦٦ و ٦٥).

لهذه كلها يقول الرصافي:

فحقّ لسلمى أن تنوح فإنها	من العيش سمّاً ناقعا تتجرّع
فلا غرو من أم اليتيم إذا غدت	ضحى العيد بيكيها اليتيم المضيع

(الرصافي، د.ت: ٦٣)

النتيجة

معروف الرصافي شاعر ثوروي واجتماعي قبل كل شيء و كان صورة ناطقة لحوادث ايامه. و ديوان أشعاره الاجتماعية كمرآة تنعكس فيها كل الحوادث السياسية و الثورات الاجتماعية و الحركات الوطنية التي حدثت في عصره. إنه كان طليعة الشعراء الذين قوّضوا بناء الأساليب التقليدية و الرجعية في التفكير و التعبير السياسي فخرج بالشعر إلى الحياة من حوله بخيرها و شرها. و لعلّه أول شاعر عربي يخصّ الفقر بالكثير من الشعر العالي و يتحدث كثيراً عن البؤس و البؤساء حتى لقب بشاعر البؤساء. لعل الرصافي أكثر توفيقاً من معاصريه من الشعراء العراقيين في معالجة و تصوير مظاهر الحياة و تصويرها قبل الحركة الدستورية و بعد فقد استعرض الرصافي في شعره الكثير من الخصال الانسانية المفقودة أو التي تعرضت للاختفاء؛ و عالج الكثير من المآسى و الحالات الاجتماعية المتنوعة في مرحلته؛ فطرح في شعره ما رأى فيه اصلاح الاسرة في معالجة سبل التربية و أحوال المرأة... و غيرها.

رصافي شاعر الحرية يحب أن يحرر المرأة من قيود العادات و التقاليد التي سيطرت على المرأة في الشرق و ألزمتها بقبول الظلم و التحكم. يعتقد أن المرأة المشرقية تعيش في ذل و شقاء مادامت مقيدة بالأغلال و القيود الموروثة و يدعو الناس الى تحريرها و مشاركتها الرجل في الحياة العامة. القارئ لقصائد الرصافي يجد أن موضوع المرأة و السياسة يطغى على كل قصائده. المرأة و الرجل عند الرصافي مخلوق انساني واحد يسعى لحرية و الإعلان عن وجوده و هو كامل الحقوق و الواجبات يعي ما له و ما عليه. شعر الرصافي كمرآة صافية تنعكس فيها معاناة الناس و مآسيهم و شقاوة المرأة انعكاساً واضحاً ملموساً.

الهوامش

١- الامير شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦) سياسي و كاتب و مورخ لبناني. وقف حياته على خدمة الإسلام و العرب (المورد؛ قاموس الانكليزي - عربي، منير بعلبكي).

المصادر و المراجع:

١- البقاعي، شفيق. (١٩٩٠). «أدب عصر النهضة»، بيروت: دارالعلم للملبيين، الطبعة الأولى.

٢- بعلبكي، منير. (٢٠٠٦). «المورد قاموس الإنكليزي - عربي»، بيروت: دارالعلم للملبيين، الطبعة الأربعون.

٣- الجيوسي، سلمى الخضراء. (١٩٩٦). «الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث»، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، منشورات اتحاد كتاب و ادباء الامارات، الطبعة الاولى.

- ٤- حاج ابراهيمي، محمد كاظم. (١٣٧٦). «تاريخ الأدب العربي الحديث»، اصفهان: جامعة اصفهان، الطبعة الاولى.
- ٥- الخفاجي، محمد عبدالمنعم. (١٩٩٢). «دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه»، بيروت: دارالجيل، الطبعة الاولى.
- ٦- الرصافي، معروف. (د.ت). «ديوان»، بيروت: دارمكتبة الحياة .
- ٧- الركابي، جودت. (٢٠٠١). «الأدب العربي من الانحدار الى الازدهار». بيروت: دارالفكر المعاصر، الطبعة الثانية.
- ٨- الزركلي، خير الدين. (١٩٨٦). «الأعلام»، قاموس تراجم، بيروت: دارالعلم للملبيين.
- ٩- ضيف، شوقي. (د.ت). «دراسات في الشعر العربي المعاصر»، القاهرة: دارالمعارف، الطبعة التاسعة.
- ١٠- طبانة، بدوى. (١٩٨٥). «التيارات المعاصرة في النقد الأدبي»، بيروت: دارالثقافة .
- ١١- العبطة، محمود، معروف الرصافي. (١٩٩٢). «حياته و آثاره و مواقفه»، بغداد: دارالشؤون الثقافية العلمية، الطبعة الاولى.
- ١٢- عبود شراد، شلتاغ. (١٩٩٨). «تطور الشعر العربي الحديث»، عمان: دار مجد لاوى للنشر، الطبعة الأولى.
- ١٣- عواد، عبدالحسين. (٢٠٠٦). «دراسات في اللغة و النقد و الأدب»، بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات.
- ١٤- غريال، محمد شفيق. (١٩٨٦). «الموسوعة العربية الميسرة»، لبنان: دارنهضة.
- ١٥- الفاخوري، حنا. (١٩٨٦). «الجامع في تاريخ الأدب العربي»، بيروت: دارالجيل.
- ١٦- ----- (١٩٩١). «الموجز في الأدب العربي و تاريخه»، بيروت: دارالجيل، الطبعة الثانية.

فصلنامه‌ی لسان مبین (پژوهش ادب عربی)

(علمی - پژوهشی)

سال سوم، دوره‌ی جدید، شماره‌ی پنجم، پاییز ۱۳۹۰

معروف الرصافی و گرایش اجتماعی وی به زن و فقر*

دکتر ابوالفضل رضایی

استادیار دانشگاه شهید بهشتی

دکتر عبدالله شفیعی

استاد یار جهاد دانشگاهی

چکیده

معروف الرصافی، شاعر بزرگ عراق و یکی از پیشگامان نهضت ادبی و از شاعران بزرگ مکتب کلاسیک است که در اکثر اغراض شعری قدیم از مدح و رثا و غزل و وصف و خمریات، شعر سروده است اما در داشتن شعر سیاسی و اجتماعی، شاعری منحصر به فرد است. او به خاطر داشتن اشعار انقلابی و آتشین و پرداختن به مسائل اجتماعی و سیاسی به «شاعر الحرّیة» و «شاعر البوساء» ملقب گشته است. شعر او ویژگی‌های زیادی دارد؛ گذشته از متانت زبان و صلابت اسلوب، همسو و همراه زمانه و خواسته‌ها و نیازهای آن پیش رفته است. محیط سرشار از حوادث شاعر وزندگی پر از انواع فقر و نداری و محرومیت، رصافی را به سوی امور ملت و مردم و موضوعات اجتماعی که مردمانش از آن رنج می‌بردند کشاند. این عوامل از رصافی، شاعری اجتماعی و انقلابی ساخت و سبب شد تا او دردهای مردم را احساس کند و از آن متأثر شود. وقتی دیوان اشعارش را می‌خوانیم و در قصاید اجتماعی‌اش فرو می‌رویم، آن را چون آینه‌ای می‌بینیم که حوادث سیاسی و انقلاب‌های اجتماعی و جنبش‌های ملی زمان شاعر در آن دیده می‌شود. او تنها شاعر عراقی است که به شعر اجتماعی متمایز است. ما در این مقاله به دو موضوع مهم از گرایش اجتماعی شاعر یعنی زن و فقر پرداخته‌ایم و برای جلوگیری از طولانی شدن بحث و حشو سایر موضوعات را فرو نهادیم.

واژگان کلیدی

گرایش اجتماعی، شعر حدیث، عراق، معروف الرصافی، زن، فقر.

* - تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۸۹/۱۲/۱۲ تاریخ پذیرش نهایی: ۱۳۹۰/۰۴/۲۵

نشانی پست الکترونیکی نویسنده: A- Rezayi@sbu.ac.ir